

الإيغور كطبقة أنساب جديدة في سوريا

محمد حجيري | الخميس 2025/06/05



الايغور في سوريا



الشرق الأوسط إقليم استراتيجي لا يهدأ ولا يستقر، مثل كثبان رملية، سواء في الحرب أو من خلال التغيير الديموغرافي. كثر يعتبرون بعض مناطقه مَوطن أديانهم وآلهتهم وأنبيائهم، وكثر ينسجون الحكايات السرديات حول مناطق أخرى باعتبارها موطن أجدادهم وجذورهم وثقافتهم، وكثر يبحثون عن أوطانهم الخيالية في هذا الإقليم الملتهب.

تقديس الأمكنة يجعل سرديتها مربكة. مَن يقرأ تاريخ تركيا المعاصر، يدرك حجم العواصف التي أصابتها وطاولت النسيج المسيحي والأرمني والكردي والسرياني. ولا يختلف واقع العراق في ظل حكم صدّام أو بعد سقوطه أو في مراحل أخرى. لبنان يعيش تحولات وأزمات في كل الأوقات، "بيت بمنازل كثيرة"، لوحات نهر الكلب دليلٌ على أنه طبقات من الشعوب والأجناس والحضارات. فلسطين لا تختلف عن لبنان، وفي زمن الاحتلال الإسرائيلي كانت ذروة التهجير القسري...



وبدء عمليات التهجير القسري لشعبهم من موطنه التاريخي في شمال القوقاز العام 1864. ففي 21 أيار/ مايو 1864، أعلن القيصر الروسي نيكولاي الثاني، نهاية الحرب التي استمرت أكثر من قرن ضد شعوب القوقاز، معلنًا السيطرة الكاملة على بلاد الشركس. ولم تنتهِ المأساة بانتهاء المعارك، بل بدأت حينها عملية تهجير قسري ممنهجة بحق السكان الأصليين، حيث تشير التقديرات إلى أن نصف الشعب الشركسي أُبيد خلال الحرب، فيما تم تهجير 90% من الناجين قسراً إلى أراضي السلطنة العثمانية في دمشق ومناطق أخرى من سوريا والأردن. وطوال عقود، ظلَّ الشركس صامتين على حزنهم بسبب الأنظمة الاستبدادية المتعاقبة.

"طوشة النصارى"

وفي العام 1860، قبل مجيء الشركس بأربع سنوات، شهدت دمشق "طوشة النصارى". التحول الحداثي والحياتي والسياسي أدى إلى توتر ومجازر وتهجير ديموغرافي بحق المسيحيين، وفي تلك المرحلة برز الأمير عبد القادر الجزائري كحامٍ لهم. ولم تختلف طوشة النصارى عن واقع الشركس إعلامياً. يقول المؤرخ سامي مبيض في كتابه "نكبة نصارى الشام" أن السوريين بكل طوائفهم وخلفياتهم السياسية حاولوا "التعتيم على هذه الحقبة المظلمة من تاريخهم الحديث، ملقين اللوم في ما حدث إما على الدولة العثمانية الحاكمة يومها أو على الدول الأوروبية، رافضين الاعتراف بأن أجدادهم شاركوا في مذبحة شنيعة من هذا الحجم، يندى لها الجبين... وبقيت الفتنة الشنيعة خارج إطار الدراسات، فلم تأتِ كتب التاريخ (السورية) المدرسية أو الجامعية المطبوعة حكومياً منذ نهاية الحكم العثماني وحتى يومنا هذا على ذكرها".

وفي بداية شهر أيار الفائت، وخلال محاضرة في الجامعة الأميركية في بيروت، روى المؤرخ الأميركي يوجين روغان أحداث دمشق 1860 وكيف اندلعت الاضطرابات وأعمال العنف خلال لحظات في أنحاء الشام. وأدت إلى مجزرة بحق آلاف المسيحيين من سكان دمشق، والذين كانوا يشكلون 15% من مجموع سكانها. ولم تكن طوشة النصارى إلا جولة ثانية من الخلافات التي نشأت بين المسيحيين والدروز في جبل لبنان بداية العام 1860، وقد تركت تلك الأحداث انطباعاً خطيراً في السياسة والمجتمع في دمشق. ومع اندلاع الحرب في الجبل ودمشق وحلب العام 1860، شهدت بيروت توسّعاً، بسبب النزوح الكثيف إليها، وانتقل الكثير من مسيحيي دمشق وحلب إلى بيروت، التي حتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت بلدة صغيرة لا تتعدّى مساحتها 15 هكتاراً، وعدد سكانها يقارب الـ4000. وبسبب الحروب والتهجير صارت "مدينة



معركة عين دارة

قبل الحديث عن ذكرى 1860 ومدينة الغرباء والطوائف، كانت قضية الدروز في سوريا وعلاقتهم المتوترة مع النظام السوري الجديد. كثر لا يعرفون أنه في ربيع 1711 وفي شهر أيار تحديداً، تواجَه الحِزبان القيسي واليَمني في خراج قرية عين دارة في جبل لبنان، في معركة شرسة غيّرت الوجه السياسي والاجتماعي للمنطقة. يقول الباحث اللبناني مكرم رباح إن "معركة عين دارة انتهت بإعدام أمراء اليَمَنيين وجلاء العائلات اليمَنية من جبل لبنان إلى موطنهم الجديد في جنوب شرقي دمشق في محافظة السويداء".

الحروب المتعاقبة وتبدل الأنظمة، أدت إلى تبدل جوهري في النسيج السكاني للمنطقة، سواء الغزوات الصليبية أو سلطة صلاح الدين الأيوبي أو سلطات الفاطميين والمماليك والعثمانيين، كلها أنظمة أدت إلى تغيير ديموغرافي. مئات العائلات الأيوبية الكردية والتركية والعربية والأرمنية والقوقازية، انصهرت في النسيج المديني الدمشقي والحلبي. لن أحكي عن التحول الديني وتقلباته وتشعباته، من المسلمين الذين يتكلمون السريانية في سوريا، إلى مناطق كسروان وطرابس والضنية التي كانت حواضر شيعية. والأضرحة



العالمية الأولى، سار الآلاف من الأرمن على أقدامهم في ظروف قاسية، هرباً من المجازر التركية. وأصدر الشريف حسين، وقتها، مرسوماً لجميع القبائل بإيواء الأرمن واستضافتهم وحمايتهم مما يتعرضون له من مذابح.

وفي زمن الحرب الإسرائيلية العربية، كانت سوريا -كما لبنان- مركزاً لنزوح جديد لآلاف الفلسطينيين الهاربين من جحيم الاحتلال. وفي زمن النظام البعثي الأسدي، كان حافظ الأسد يرعى بشكل ممنهج وخبيث، التغيير الديموغرافي. فعدا عن هجرة المسيحيين لأسباب اقتصادية ومعيشية، وتقلّص وجودهم إلى أدنى مستوياته، كان النظام يستولى على الأراضي بطريقة مُقنّعة ويصنع الضواحي الجديدة في المدن السورية من خلال إسكان الضباط العلويين الموالين له فيها. مع الثورات العربية، عاشت سوريا نوعاً جديداً من التحول القسري الديموغرافي. فعدا التهجير بالبراميل المتفجرة لسكان المدن والقرى، كان التوطين من خلال التجنيس لمجموعات من أفغانستان وإيران والعراق ولبنان.

ومع سقوط بشار الأسد وهروبه، برز تطوّر جديد تمثّل في المقاتلين الأجانب في صفوف القوى المسلحة التابعة للنظام الجديد، ولعل أبرزُهم القوقازيين الآتين من الشيشان، والإيغور الآتين من الصين عبر تركيا. منذ العام 2012، وصل آلاف الإيغور إلى سوريا، وتقدر أعدادهم اليوم بنحو 15 ألف شخص، بينهم خمسة آلاف مقاتل، وتمركزوا في إدلب ومحيط جسر الشغور وظهروا في المسجد الأموي بعد سقوط بشار الأسد. يطلق عليهم السوريون اسم "التركستان"، وقد أسسوا مدارس ومشاريع صغيرة من مطاعم ومحطات وقود، كما التحق المئات منهم بجامعة إدلب مجانًا، شأنهم شأن الطلاب السوريين.

بين بشار الأسد والحزب الشيوعي الصيني

ويحظى الإيغور بدعم معنوي من الجاليات الإيغورية حول العالم. ورغم شطب واشنطن لحركة تركستان الشرقية الإسلامية من لائحة العقوبات الأميركية، إلا أن الصين تقول إن الإسلامي التركستاني يُعد امتدادًا لحركة تركستان الشرقية، وتتهمه بتنفيذ هجمات داخل الصين، بالإضافة إلى تفجير السفارة الصينية في بيشيك عاصمة قيرغزستان. الإيغور جاؤوا إلى سوريا بحثًا عن مكان للاستقرار، وهم لمسوا "أوجه شبه بين نظام بشار الأسد القمعي ونظام الحزب الشيوعي الصيني، ولذلك انضموا إلى القتال إلى جانب السوريين". والآن أُعلن ضمّ مقاتليهم إلى الجيش السوري، ربما يتحولون في المستقبل نقطة خلاف بين الصين والولايات المتحدة...



وبات جزء من الإيغور الآن، طبقة أنساب جديدة، في ظل النظام السوري الجديد وبموافقة أميركية.

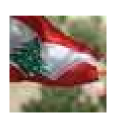
حجم الخط

مشاركة عبر

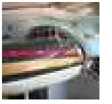
التعليقات

التعليقات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها

تعليق واحد فرز حسب الأقدم



إضافة تعليق...



Bassam Alnahas


امن قلة الرجال السوريين نشكل فرقه ويغوريه؟نفس نهج أبو كلسون وعمه مثلا سرايا الاندفاع!!!

أعجبني · رد · 15 س

المكون الإضافي للتعليقات من فيسبوك

الكاتب



محمد حجيري

رئيس القسم الثقافي في "المدن"

مقالات أخرى للكاتب

"أنا إليسار أبحث عن أبي الياس خوري"



معرض بيروت للكتاب: تبدّل طقوس القراءة وعلاقتنا بالأشياء

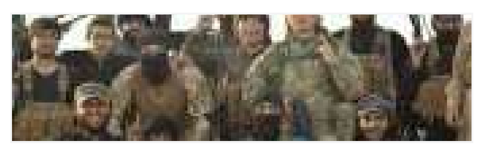
الخميس 2025/05/22

في الطريق إلى بيت ميسم هندي: عتمة يفسّرها الضوء

الثلاثاء 2025/05/20

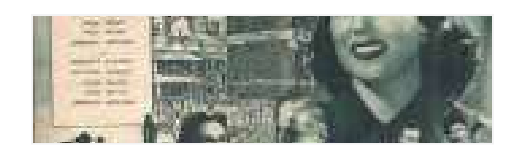
عرض المزيد

الأكثر قراءة

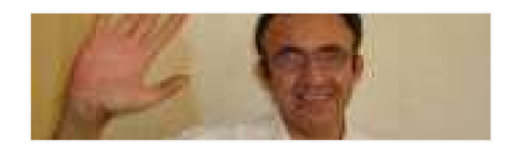




الإيغور كطبقة أنساب جديدة في سوريا



الأغنية التي ردت بها ليلى مراد على إسرائيل



الأعمال الكاملة لإياد شاهين: القصائد يُنقذها ...



سلمان رشدي: من الفتوى إلى "السكين"



توبي ناثان: الأمراض النفسية مرآة الثقافة


المدن
جريدة إلكترونية مستقلة





جريدة "المدن" الإلكترونية جريدة الكترونية مستقلة مقرها بيروت تمثل التيار المدني اللبناني والعربي

روابط سريعة

الرئيسية

سياسة

اقتصاد

عرب و عالم

محطات

رأي

ثقافة

ميديا

الكاريكاتير







